قصة

الرزق والمال

قصة الرزق والمال

من أين الرزق؟:

من أين يأتي الرزق؟ إنه سؤال سبق أن وجهه زكريا عليه السلام إلى مريم البتول عليها السلام؛ قال الله تعالى: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾[1]؛ فقد كانت مريم عليها السلام تعيش وحيدة في غرفة قد تفرغت لعبادة ربها، وكانت لا تخرج من هذه الغرفة ولا يدخل عليها أحد سوى زكريا عليه السلام الذي كفلها، فكان يأتيها بما تحتاجه من الطعام والشراب، ولكنه كان كلما دخل عليها يفاجئ بوجود فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء، فيتعجب زكريا من ذلك ويسأل مريم: من أين لك هذا الرزق؟! فتجيبه بأنه من عند الله الذي يرزق من يشاء وهو خير الرازقين.

وقضية الرزق خطيرة للغاية ولهذا تكرر ذكر الرزق في القرآن أكثر من مئة مرة، فالرزق أحد الأفعال الدالة على الربوبية، وهو آية عظيمة تدل على وجود الله جلَّ جلاله، ولهذا سأل الحواريون عيسى عليه السلام إن كان ربه يستطيع أن يُنَزِّل

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ٣٧.

عليهم مائدة طعام من السماء فيأكلون منها وتطمئن قلوبهم، ويعلمون بها صدق المسيح عليه السلام ويشهدون أنها آية من عند الله؛ قال الله تعالى: ﴿ إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ ۖ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١١٥﴾ ﴾[1]. وقد نصحهم عيسى عليه السلام أن يقنعوا بما رزقهم الله في الأرض ولا يسألوا المائدة من السماء لأنها إن نزلت عليهم كانت آية من ربهم فيُبتلوا بها، فأبوا إلا أن يأتيهم بها، فدعا عيسى ربه أن يُنزِّل عليهم مائدة من السماء .

فمصدر الرزق والرازق الحق له هو الله جلَّ جلاله. قال الله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ﴾[2]. فالله جلَّ جلاله هو الرازق الرزاق الذي يرزق من يشاء ويوسع عليه ويمنع الرزق عمن يشاء و يضيق عليه، بيده

(١) سورة المائدة، الآيات: ١١٢-١١٥.

(٢) سورة سبأ، الآية: ٢٤.

الخير وهو على كل شيء قدير. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾[1] فالرزاق اسم من أسماء الله الحسنى؛ وهو تعالى الذي خلق المرتزقين وخلق لهم أرزاقهم وأوصلها إليهم وخلق لهم أسباب التمتع بها؛ والرزاق وصف لا يستحقه إلا الله تعالى؛ فلا يُنتظر الرزق إلا منه، ولا يُتوكل فيه إلا عليه سبحانه، وقد نفى تعالى أن يملك الرزق أو يستطيعه أحد غيره ممن يعبدهم المشركون من الأوثان، وأمر بابتغاء الرزق عنده وعبادته وحده وشكره على ذلك؛ إذ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

لقد خلق الله تبارك وتعالى السماوات والأرض قبل أن يخلق الإنسان بأزمان طويلة، وهيأ الله عزَّ وجلَّ الأرض لسكنى الإنسان فجعل فيها أقواتها وأرزاقها التي تكفل حياة الإنسان وبقاءه حيًا إلى أن يأتي أجله؛ قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ

(١) سورة الذاريات، الآية: ٥٨.

(٢) سورة النحل، الآية: ٧٣.

(٣) سورة العنكبوت، الآية: ١٧.

أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾﴾[2].

فقد خلق الله تعالى الأرض في يومين ثم دحاها في يومين آخرين فأخرج منها الماء والمرعى والزروع والأشجار والثمار وكل ما يحتاجه الإنسان والحيوان من رزق، وجعلها مباركة قابلة للخير والبذر والزراعة، وقدَّر فيها أقواتها وهو ما يحتاج إليه أهلها من الأرزاق والأماكن التي تزرع وتغرس، وجعل في كل أرض ما يصلح لها ولا يصلح في غيرها؛ فالتفاح يصلح في أماكن، ولا يصلح في أماكن أخرى، والزيتون يصلح في أماكن دون أماكن وكذلك جميع أنواع الخضار والفاكهة والحبوب وغير ذلك فلها أماكن ومواسم مخصوصة، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾[3]، أي؛ هو الذي مد الأرض فجعلها متسعة ممتدة في الطول

(١) سورة فصلت، الآيتان: ٩-١٠.

(٢) سورة النازعات، الآيات: ٣٠-٣٣.

(٣) سورة الرعد، الآيتان: ٣-٤.

والعرض، وأرساها وثبتها بجبال راسيات شامخات حتى لا تميد وتتحرك القشرة الأرضية وتحدث الزلازل، وأجرى فيها الأنهار والجداول والعيون ليسقي ما جعل فيها من الثمرات المختلفة الألوان والأشكال والطعوم والروائح، ومن كل نوع زوجين، وجعل فيها أراض، وبالرغم من تجاورها فإنه تعالى جعل هذه طيبة تنبت وتصلح للزراعة، وهذه سبخة مالحة لا تنبت شيئًا، ويدخل في ذلك اختلاف ألوان الأراضي فهذه تربة حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه سوداء، وهذه مليئة بالحجارة، وهذه سهلة، وهذه مليئة بالرمل، وهذه سميكة، وهذه رقيقة وكلها متجاورات، وجعل فيها جنات من أعناب وزرع ونخيل، وعلى الرغم من أنها تُسقى بماء واحد إلا أن الله تعالى جعلها مختلفة الأجناس والطعم؛ فهذه حلوة، وهذه حامضة، وهذه مُرّة، وجعلها مختلفة الألوان؛ فهذه حمراء، وهذه بيضاء، وهذه صفراء، وهذه برتقالية، وهذه خضراء، وهذه سوداء، وهذه زرقاء، والغصن الواحد من الشجرة قد يختلف الثمر فيه من الصغر والكبر واللون والطعم، وكذلك الأزهار تختلف أشكالها وألوانها ورائحتها وطعمها؛ وكل ذلك يُسقى بالماء نفسه وتنبسط أشعة الشمس والقمر على الجميع على نسق واحد؛ ففي هذا الاختلاف دليل على وحدانية الله وآيات تدل على أنه سبحانه وتعالى الفاعل المختار لا إله إلا هو ولا رب سواه الذي بإرادته وقدرته فاوت بين الأشياء وخلقها على ما يريد، وفي ذلك آيات لقوم يتفكرون في آلاء الله عزَّ وجلَّ وحكمه ودلائله، وعلامات لقوم يعقلون ويفهمون عن الله عزَّ وجلَّ.

دوام الرزق في الأرض:

ثم بعد خلق الأرض وتقدير الأقوات فيها خلق الله عزَّ وجلَّ الإنسان، ولم ينحصر رزق الله على ما سبق خلقه في الأرض من الأقوات بل هو تعالى يرزق الإنسان الرزق المتواصل المستمر إلى قيام الساعة؛ ومن دلائل ذلك أن الله ـــ جلَّ شأنه وتقدست أسماؤه ـــ يخلق الأنعام من إبل وبقر وغنم ليأكل الإنسان من لحمها ويشرب من لبنها وينتفع بأصوافها وأوبارها وأشعارها المنافع المختلفة كالملابس الصوفية وغير ذلك، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾[1].

ويمتنّ الله على الإنسان بأن يسخِّر له الدواب التي يركبها ويستخدمها في حمل الأثقال والنقل والسفر عليها إلى البلاد البعيدة وغير ذلك من الأعمال، ويذللها له حتى تكون بين يديه مقهورة ذليلة له لا تمتنع منه حتى أن الطفل الصغير يستطيع أن ينيخ البعير ويقيمه ويسوقه، فيمشي البعير معه مطيعًا ذليلاً، ولو كانت القافلة مئة بعير لسار الجميع بسير الصغير؛ قال تعالى: ﴿وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا بَالِغِيهِ إِلَّا

(١) سورة المؤمنون، الآيات: ٢١-٢٢.

بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾[2].

وعلى الرغم من أن هذه الأنعام والدواب مسخرة لخدمة الإنسان وهو المستفيد منها فإنه لا يملك رزقها وإنما رزقها على الله تعالى، بل الله يرزقها ويرزق الإنسان معها؛ قال تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ ۚ ﴾[4]؛ فالحيوان لا يستطيع جمع طعامه وحمله، ولا يستطيع أن يدخر شيئًا من طعامه لغده خوفًا من عدم إيجاد الرزق في الغد، ومع ذلك يقيض الله له رزقه وييسره عليه فيبعث إلى كل مخلوق من الرزق ما يصلحه حتى الذر في قرار الأرض والسمك في الماء والطير في الهواء، ولهذا يقول رسول الله ﷺ: «**لو أنكم كنتم توكّلون على الله حق توكله لرُزِقتم كما تُرزَق الطير، تغدو خماصًا، وتروح بطانًا**»[5].

---

(١) سورة النحل، الآيات: ٥-٨.

(٢) سورة يس، الآيات: ٧١-٧٣.

(٣) سورة هود، الآية: ٦.

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٦٠.

(٥) صحيح سنن الترمذي، رقم: ١٩١١.

ومن دلائل دوام رزق الله عزَّ وجلَّ على الإنسان إلى قيام الساعة أنه تعالى يُنَـزِّل الماء من السماء لأنه ضروري لحياة الإنسان والحيوان والزرع والشجر، قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ﴿١٠﴾ يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَـٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾﴾[1].

فإنزال الماء من السماء آية من آيات الله عزَّ وجلَّ؛ لأنه أمر خارج عن إرادة الإنسان وقدرته، فلا يستطيع الإنسان صنعه أو إنزاله من السماء، ولا يمكن أن يرزقه إياه سوى الخالق تبارك وتعالى، وقد نبَّه جلَّ جلاله في كثير من آيات القرآن على هذا الأمر العظيم الذي لا يقدر عليه غيره؛ ولهذا يقول الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَـٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾﴾[2]، أي أن الله تعالى ينـزل الماء عذبًا زلالاً ولو يشاء الله لجعله زعاقًا مرًا لا يصلح لشرب أو لزرع، ولا يملك الإنسان القدرة على ذلك، فوجب عليه أن يشكر نعمة الله عليه في إنزال المطر طهورًا عذبًا صالحًا للشرب والزرع وفيه حياة كل شيء، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ﴾[3].

---

(١) سوره النحل، الآيتان: ١٠-١١.

(٢) سورة الواقعة، الآيات: ٦٨-٧٠.

(٣) سورة الأنبياء، الآية: ٣٠.

فالله تبارك وتعالى ينـــزل الماء ويُحيي الأرض بعد موتها رزقًا للإنسان والحيوان والزرع؛ قال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾﴾[1]؛ فهذا امتنان بإنزال الماء من السماء إلى الأرض وإسكانه فيها وتخلله في أجزاء الحب المودع فيها فينبت ويرتفع ويظهر على وجه الأرض من أنواع الحبوب والعنب والحشائش والزيتون والنخل والبساتين وأنواع الفاكهة؛ وكل ذلك رزقًا وعيشًا دائمًا مستمرًا للإنسان والحيوان في هذه الدار إلى يوم القيامة.

ومن نعم الله تعالى التي لا تعد ولا تحصى على بني الإنسان أن جعل تعالى نزول الماء من السماء بقدر وبحسب الحاجة؛ قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ﴾[2]؛ فلا يكون الماء كثيرًا فيفسد الأرض والزرع، ولا يكون قليلاً فلا يكفي الزروع والثمار، بل يكون نزول الماء بقدر الحاجة إليه من السقي والشرب والانتفاع به حتى إن الأراضي التي تحتاج ماءً كثيرًا لزرعها ولا تحتمل دمنتها[3] إنزال المطر عليها يسوق إليها الماء من بلاد أخرى كما في أرض مصر، ويقال لها الأرض الجرز يسوق الله إليها نهر النيل معه طين أحمر يجترفه من بلاد الحبشة في زمان أمطارها فيأتي الماء

(١) سورة عبس، الآيات: ٢٤-٣٢.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ١٨.
(٣) الدِّمْنة: الموضع القريب من الدار. (لسان العرب).

فيسقي أرض مصر ويقر الطين على أرضهم ليزرعوا فيه لأن أرضهم سباخ يغلب عليها الرمال فسبحان اللطيف الخبير الرحيم بعباده، أو الأرض التي يترل عليها مطرًا لا يغني عنها شيئًا فيُجري الله إليها السيول؛ أفلا يبصر الناس إلى هذه الآية الدالة على وجود الصانع وقدرته التامة؟ قال الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ ٱلْمَآءَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَٰمُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ ۖ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾[1].

أو تكون الأرض ميتة لا نبات فيها فيحييها الله عزَّ وجلَّ بالماء المبارك رزقًا للعباد، كما قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ۝٩ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ۝١٠ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ۝١١﴾[2]، ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ۝٣٣ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ۝٣٤ لِيَأْكُلُوا مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٣٥﴾[3]؛ فهذا كله ليس من صنع الإنسان بل هو من صنع الله الذي أحسن كل شيء خلقه، وما ذاك إلا من رحمة الله تعالى بالعباد فهلا يشكرونه على هذه النعم العظيمة التي لا تعد ولا تحصى؟

---

(١) سورة السجدة، الآية: ٢٧.

(٢) سورة ق، الآيات: ٩-١١.

(٣) سورة يس، الآيات: ٣٣-٣٥.

ولأن قدْر الأشياء يُعرف بضدها، كما يُعرف قدْر الصحة بالمرض، فقد يَنـــزل أحيانًا على بعض البقاع مطرٌ كثير ينتج عنه فيضان وإغراق وهدم وضرر بالزرع والثمار؛ أو يقل المطر أو يعدم أحيانًا عن بعض البقاع فينتج عنه جفاف وقحط، فإن لم يكن ذلك سَوْط عذاب من الله تعالى على من كفر به أو ترك دينه وعصاه، أو لم يكن ذلك ابتلاء من الله تعالى للمؤمنين لامتحان صبرهم وزيادة درجاتهم وتكفير خطاياهم، فهو تنبيه من الله عزَّ وجلَّ على أن ذلك لا يكون إلا بإرادته وقدرته، وتنبيه إلى عظم نعمة إنزال الماء بقدر، وبحسب حاجة الأرض فيشكر العباد هذه النعمة العظيمة من الرب الرحيم. وقد حدث في عهد النبي ﷺ ما يدل على ذلك، حيث قال أنس بن مالك: «أصابت الناس سَنَة على عهد النبي ﷺ فبينا النبي ﷺ يخطب في يوم جمعة قام أعرابي فقال: يا رسول الله! هلك المال، وجاع العيال، فادع الله لنا. فرفع يديه - وما نرى في السماء قزعة - فوالذي نفسي بيده ما وضعها حتى ثار السحاب أمثال الجبال، ثم لم ينـــزل عن منبره حتى رأيت المطر يتحادر على لحيته ﷺ. فمُطِرنا يومنا ذلك، ومن الغد، وبعد الغد، والذي يليه حتى الجمعة الأخرى. وقام ذلك الأعرابي -أو قال غيره- فقال: يا رسول الله! تهدم البناء، وغرق المال، فادع الله لنا. فرفع يديه فقال: «**اللهم حوالينا ولا علينا**». فما يشير بيده إلى ناحية من السحاب إلا انفرجت، وصارت المدينة مثل الجوبة. وسال الوادي قناة شهرًا، ولم يجئ أحد من ناحية إلا حدَّث بالجود»[1].

(١) أخرجه البخاري في كتاب الجمعة، باب: الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة.

ومن الدلائل العظيمة على دوام الرزق أنْ سخر الله عزَّ وجلَّ للإنسان الشمس والقمر والليل والنهار والنجوم وبث له في الأرض المعادن على اختلاف أنواعها وأشكالها وألوانها كالذهب والفضة وغيرها من المعادن النفيسة، والحديد والخشب وغير ذلك من المعادن والخامات التي يستخدمها الإنسان في صناعة الأشياء المختلفة التي يحتاجها في حياته، قال تعالى: ﴿وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾[2]؛ وقد خص الله تعالى الحديد بالذكر من بين المعادن الثقيلة الأخرى حتى سميت السورة التي فيها هذه الآية (سورة الحديد) لأن في الحديد من المصالح للإنسان ما لا يعد ولا يحصى؛ فالصناعات الثقيلة، والأسلحة على مختلف أنواعها، والأبنية، والسفن، والطائرات، والأدوات التي تُستخدم في الصناعات المختلفة كالحراثة والنجارة والحدادة والحياكة والخبازة والطبخ وغير ذلك كثير؛ كلها من الحديد.

وسخر الله عزَّ وجلَّ للإنسان البحر رزقًا دائمًا مستمرًا ليأكل منه اللحم الطري، ويستخرج منه اللؤلؤ والمرجان والجواهر النفيسة، ويسافر فيه للتجارة وطلب الرزق بواسطة السفن التي تشق البحر بمقدمتها المسنمة التي أرشد الله الإنسان إلى صناعتها وهداهم إلى ذلك إرثًا عن أبيهم نوح عليه السلام، فإنه أول من

(١) سورة النحل، الآية: ١٣.

(٢) سورة الحديد، الآية: ٢٥.

صنع سفينة بتعليم الله له كيفية صنعها وعلى مرأى من الله تعالى؛ قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَٱصْنَعِ ٱلْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَٰطِبْنِى فِى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ ۚ إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾[1]، فتمكين الإنسان من التصرف في البحر وتذليله بالركوب نعمة عظيمة من نعم الله المستمرة على الإنسان، ولو شاء الله سلطه على الناس وأغرقهم.

وسخر الله الجبال لتثبيت الأرض، والأنهار التي تجري من مكان إلى مكان آخر رزقًا للعباد، ينبع النهر في موضع وهو رزق لأهل موضع آخر، فيقطع البقاع والبراري والقفار، ويخترق الجبال والوديان وهو سائر يمنة ويسرة وجنوبًا وشمالاً وشرقًا وغربًا رزقًا لأهل البقاع التي يمر بها حتى يصل إلى البلد الذي سخره الله لأهله. وسخر الله النجوم ليهتدي بها الإنسان في ظلام الليل؛ قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى سَخَّرَ ٱلْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا۟ مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَٰرًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَلَٰمَٰتٍ ۚ وَبِٱلنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾[2].

---

(١) سورة هود، الآية: ٣٧.

(٢) سورة النحل، الآيات: ١٤-١٨.

ويسر الله تعالى للإنسان أسباب المكاسب وأصناف المعايش والعبيد والإماء التي يستخدمها، ورزْق هؤلاء على خالقهم لا عليه، فللإنسان المنفعة، والرزق على الله سبحانه وتعالى، قال عزَّ وجلَّ: ﴿وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ﴾[1]. وقد هدى الله تعالى الإنسان إلى كل ما فيه مصلحة لمعيشته على هذه الأرض من الزراعة والصناعة وغير ذلك من الأعمال والمهن والحرف.

فهذا وغيره مما لا يحصى دلائل على أن الله سبحانه وتعالى يرزق الإنسان باستمرار مؤمنًا كان أو كافرًا، وأخبر تعالى أن رزق الإنسان في السماء: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾[2]، ورزق الله تعالى ليس له نفاد، بل يكفل حياة البشر جميعًا في الأرض إلى قيام الساعة وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولو أن أول البشر وآخرهم وإنسهم وجنهم قاموا في مكان واحد فسألوا الله تعالى فأعطى الله كل واحد ما سأل ما نقص ذلك مما عند الله إلا كما تُنقِص الإبرة من البحر إذا أُدخلت فيه. فالله عزَّ وجلَّ يعلم كم سيكون من الإنسان والحيوان على الأرض من أولهم إلى آخرهم عند قيام الساعة ويعلم كم سيحتاجون من الرزق، فهو تعالى يرزقهم بما يكفيهم ولا يمكن أن يكون رزق الله تعالى ناقصًا عن حاجة خلقه جميعًا من الإنسان والحيوان، بل تكفل الله برزق كل مولود يولد ونهى تعالى الآباء عن قتل أولادهم بسبب الفقر وبيَّن أنه تعالى يرزقهم ويرزق أولادهم أيضًا؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾[3].

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٢٠.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١٥١.

فالله تعالى هو الرزاق، ويرزق من يشاء بغير حساب، وما من مخلوق إلا وله رزقه حتى ولو كان دابة؛ قال الله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا ﴾[1]، فإذا كان الله عزَّ وجلَّ قد كفل رزق الدواب فما بالك برزق الإنسان الذي فضّله الله على كثير من المخلوقات؟ قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾[2].

أما ما نراه ونسمعه من حصول مجاعات في بعض البلاد، وعدم وجود طعام يكفي بعض الناس فإنما ذلك من ظلم الإنسان لأخيه الإنسان، إذ لو قامت البلاد التي يغمرها الرزق ويفيض عن حاجتها بمنح جزء من الرزق للبلاد التي لديها نقص فيه لما جاعت تلك البلاد، وكذلك لو قام الأغنياء بإطعام الفقراء لما جاع أحد من الناس، فكما يختبر الله عزَّ وجلَّ إيمان الإنسان بالزكاة التي يدفعها للفقراء فكذلك يختبر الدول الغنية بالأرزاق التي تمد به الدول المحتاجة إليها.

وقد يكون تجويع بعض البلاد مقصودًا من قبل بلاد أخرى تنتهج سياسة التجويع أو الحصار الاقتصادي؛ لإرغام الناس على الخضوع لها، أو القبول بأمور معينة، أو اعتناق أفكار أو مذاهب مخصوصة لم يكن هؤلاء الجياع ليقبلوا بها لولا

---

(١) سورة هود، الآية: ٦.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٠.

الجوع. وقد يبلغ ظلم الإنسان بأخيه الإنسان أن تقوم بعض البلاد بإتلاف بعض الأرزاق لتحافظ على سعرها المرتفع في السوق جشعًا وطمعًا لعلمهم أن الأسعار ترتفع وتنخفض بحسب العرض والطلب فلو زاد عرض أي سلعة عن الطلب لانخفض سعرها كثيرًا، حتى الذهب ينخفض سعره لو طُرحت كميات كبيرة منه في السوق فما بالك بما هو دون ذلك من الطعام والشراب؟!

وإن مما يدل على دوام الرزق ووفرته أنه في آخر الزمان يكون المال وفيرًا بحيث لو عُرض على الإنسان مال كثير لا يقبله، قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينـــزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلاً، فيكسر الصليب، ويقتل الخنـــزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد، حتى تكون السجدة الواحدة خيرًا من الدنيا وما فيها**»[1]؛ فالمال يفيض إلى حد عدم الانتفاع به، وتقل الرغبة به حتى لا يقبله أحد، بل تكثر رغبة الناس في الصلاة التي تكون خيرًا من الدنيا وما فيها لعلمهم بقرب الساعة بعد نزول عيسى عليه السلام.

ومن أسباب كثرة المال نزول البركات وتوالي الخيرات وإخراج الأرض لكنوزها، أي أن الله تعالى خلق في الأرض كنوزًا تكفي البشرية جمعاء منذ أبيهم آدم وحتى قيام الساعة، وهذا من عدل الله ورحمته ببني آدم؛ المؤمن منهم والكافر، حتى إن إبراهيم عليه السلام حين دعا الله تعالى أن يرزق المؤمنين فقط من دون الناس

(١) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام.

من أهل البلد الحرام، قال تعالى بأن رزقه يشمل الكافر أيضًا، فهل يخلق الله خلقًا ولا يرزقهم؟ قال عزَّ وجلَّ: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا ءَامِنًا وَٱرْزُقْ أَهْلَهُۥ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ مَنْ ءَامَنَ مِنْهُم بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۖ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُۥ قَلِيلًا ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴾[1]. وقال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عددًا**»[2]؛ فالرزق والأموال تكثر في آخر الزمان حتى إن الخليفة لا يعد المال عدًّا بل يغرفه بيديه غرفًا.

الرزق والمال:

الرزق هو الأصل لكل مال أو نقود، والرزق هو ما جعله الله تعالى في الأرض من الأقوات التي لا تعد ولا تحصى، ﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ ﴾[3]. فالثمرات وأنواع الزرع التي لا حصر لها، والمعادن النفيسة كالذهب والفضة وغيرها، والمواد الخام كالحديد والألمنيوم والنحاس وغير ذلك، والنفط والغاز وغيره مما هو معروف الآن أو مما سيكتشفه الناس ويحتاجونه في المستقبل مما أودعه الله تعالى باطن الأرض، وما يُستخرج من البحر من أنواع الأسماك الكثيرة وكذلك المعادن النفيسة، وما خلقه الله تعالى من الحيوان الذي

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٢٦.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة.

(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٣٤.

سخره للإنسان لاستخدامه أو لأكله أو الانتفاع مما يخرج من بطنه من حليب أو عسل ونحو ذلك، حتى الصخر والرمال ونحوها مما يوجد على الأرض بكثرة؛ فكل ذلك رزق ومال يمكن مبادلته بأي نوع آخر من الرزق، وهذا هو الأصل في التعامل بين الناس حيث يبادل الإنسان كمية مما عنده من الرزق سواء كان ذلك تمرًا أو قمحًا أو بيضًا أو غير ذلك بما يحتاجه من طعام آخر أو لباس أو مركب ونحو ذلك.

أما سبب وجود النقود فلأنه قد كثر الناس وكثر الرزق في أيديهم، ونشأت عدة صعوبات في استخدامه، ومن ذلك صعوبة حمله ونقله من مكان إلى آخر، وصعوبة التوافق المزدوج بين صنفين من الرزق، فصاحب التمر مثلاً قد لا يجد من يبادله بما هو في حاجة إليه من اللباس أو غير ذلك، وصعوبة قياس كمية السلعة بكمية سلعة أخرى، وصعوبة التجزئة وتكافئ الشيء التافه مع سلعة أخرى، وصعوبة حفظ السلع من التلف واحتفاظها بقيمتها لتكون مستودعًا للثروة وقوة للشراء المطلق. فاحتاج الناس إلى وسيلة يحصل بها التغلب على هذه الصعوبات ويسهل حملها والتعامل بها واستخدامها وسيطًا للتبادل العام تنوب عن الرزق الأصلي، ويمكن استخدامها مقياسًا للقيم والثمن، وخزانة للثروة، وقوة شرائية مطلقة.

فشاء الله عزَّ وجلَّ أن يبحث الإنسان عن وسيلة تكون لها صفات تقيها عوامل التلف والتأرجح بين الزيادة والنقصان، وشاء تعالى أن يهتدي الإنسان إلى المعادن النفيسة من الذهب والفضة والنحاس، فتعامل الناس بها على شكل سبائك وقطع غير مسكوكة، ولكن بسبب اختلاف هذه الأنواع وعدم معرفة كل الناس

بالمادة الأصلية لهذه المعادن ووجود مشقة في وزن المقادير المتفق عليها من المعدن الثمين عند كل عملية بيع وجدت ثغرة في استعمالها كانت ميدانًا للتلاعب والفوضى؛ مما جعل ولاة الأمور يتدخلون في شؤون النقد ويحتكرون إصداره على شكل قطع مختلفة من النقود المعدنية لكل منها وزن وعيار معلومان وختْم على كل قطعة يدل على مسؤولية الحاكم عن الوزن والعيار. وبذلك أصبحت العملات المعدنية تعد عدًّا بدلاً من وزنها، وصار كل جنس منها متفقًا بعضه مع بعض في النوع والمقدار.

وبالرغم من اكتساب هذا النقد الثقة والاطمئنان والقدرة على إدارة التعامل به بين الناس إلا أنه لم يكن قادرًا قدرة تامة على مجاراة التطور الاقتصادي، وظهر عجزه في الصعوبة النسبية لحمله ونقله تبعًا لتعدد الصفقات الكبرى في الأسواق التجارية في العالم، فضلاً عن الخوف من ضياعه أو سرقته ؛ فتطوَّر تفكير الإنسان بالنقد تبعًا للتطور الاقتصادي السريع، فهدى الله عزَّ وجلَّ الإنسان إلى العملات الورقية التي تدرجت أيضًا في نشأتها حتى بلغت مرتبة النضج والكمال، وبالرغم من أن العملة الورقية في حقيقتها ليست أكثر من قصاصة من الورق عليها نقوش وصور وأرقام لا قيمة ذاتية لورقها بدليل التقارب في الحجم بين الفئات المختلفة التي تحمل رقم واحد أو خمسين أو مئة أو رقمًا أكبر من ذلك أو أصغر، إلا أنها لقيت قبولاً عامًا كوسيط للتبادل والبيع والشراء، واعتُبِرتْ مخزنًا للثروة ومقياسًا للقيم ، ووثق الناس بها كقوة شرائية مطلقة، حيث يستطيع أي إنسان يحملها أن يشتري بها أي سلعة يريدها أو يستبدلها بعملة بلد آخر.

وهكذا تحول التعامل بين الناس من تبادل الرزق إلى التعامل بالعملة الورقية التي أصبحت رمزًا للرزق ولسان حاله، وصار البيع والشراء وأجور العمل والخدمات يتم حسابه وتسديده بهذه الأوراق، لأن الناس أصبحوا يثقون بقيمة هذه الأوراق على أنها مادة يمكنهم أن يشتروا بها ما يشاؤون، ويطمئنون إلى أنها مستودع للثروة، ويمكنهم أن يدخروا منها أي كمية يستطيعون جمعها، هذا ما لم تتعرض الحكومة التي تصدر هذه الأوراق إلى أزمات اقتصادية أو حربية أو سياسية أو غير ذلك مما يفقد هذه العملة الورقية قيمتها الاعتبارية فتصبح مجرد ورق قيمته بقيمة الورق العادي كما حدث في بلاد كثيرة، أو يبطل التعامل بها كما حصل في بلاد أخرى؛ لأن هذه الأوراق المزخرفة بالرسوم والكتابة لا قيمة لها في ذاتها وإنما القيمة في أمر خارج عنها؛ وفي هذه الحالة تبرز قيمة الرزق الأصلي وهو الأقوات والكنوز التي قدَّرها الخالق سبحانه وتعالى في الأرض، فيتهافت الناس مثلاً على التعامل بالذهب والفضة بيعًا وشراءً؛ لأن قيمة هذا الرزق في ذاته كمعدن نفيس على عكس الورق النقدي.

رزق الإنسان وماله:

إن أول ما يحتاجه الإنسان لمعرفة كيف يكسب المال أو يزيده أو يحفظه من المفاسد أو يتجنب خسارته وهلاكه هو أن يعرف بأن رزق أي إنسان وحجم المال الذي سوف يجنيه طوال حياته أمر قد تم الفراغ منه منذ أن كان هذا الإنسان في رحم أمه؛ فالله تبارك وتعالى يرسل ملَكًا يكتب رزق هذا الإنسان الذي لا زال جنينًا في رحم أمه كما قدَّر الله عزَّ وجلَّ له؛ فقد أخبرنا رسول الله

ﷺ بذلك فقال عليه الصلاة والسلام: «**إن أحدكم يُجمَع خلقه في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث الله ملكًا يُؤمَر بأربع كلمات ويقال له: اكتب عمله ورزقه وأجله وشقي أو سعيد. ثم يُنفَخ فيه الروح**»[1]. قال الله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَىْءٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[2].

فالله تبارك وتعالى يحتج على المشركين بأنه الخالق الرازق الذي يُخرج الإنسان من بطن أمه عريانًا ثم يرزقه ما يحتاج إليه في معاشه وقيامه من المال والممتلكات وأنواع المكاسب، فهل الذين يعبدونهم من دون الله من يفعل شيئًا من ذلك؟ كلا، لا يقدر أحد منهم على فعل شيء من ذلك بل الله سبحانه وتعالى هو المستقل بالخلق والرزق والإحياء والإماتة، تبارك وتعالى وعزَّ وجلَّ وتقدس وتنـــزه عن أن يكون له شريك أو نظير أو مساو أو ولد أو والد، بل هو الأحد الفرد الصمد الذي لم يلد و لم يولد و لم يكن له كفوًا أحد.

وهذا الرزق لا يزيد ولا ينقص ذرة عن القدر الذي قدَّره الله عزَّ وجلَّ كما قال تعالى: ﴿ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾[3]. وهذا التقدير والتحديد مرتبط بما

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة.

(٢) سورة الروم، الآية: ٤٠.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٩.

سبق في علم الله تعالى من عمل هذا الإنسان في هذه الحياة من خير أو شر؛ فقد خلق الله تعالى أسبابًا لكسب المال وزيادته وحفظه، وأسبابًا لخسارته وتقليله وهلاكه؛ وبأي من هذه الأسباب يعمل الإنسان بنية صادقة صالحة يحصل على النتيجة التي قدَّرها الله عزَّ وجلَّ؛ قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ﴾[1]، أي؛ يوسع الله تعالى عليه الرزق في الدنيا أو يضيق عليه لما له في ذلك من الحكمة والعدل.

ولأن الدنيا دار امتحان فإن بسط الرزق على عبد لا يدل على كرامته فقد يكون ذلك على بعض الكافرين، وكذلك التقتير على عبد لا يدل على إهانته؛ لأن ذلك قد يكون على بعض المؤمنين. ولن يموت أي إنسان حتى يستوفي تمامًا ما قدَّره الله له من رزق؛ وقد قال رسول الله ﷺ: «**أيها الناس! اتقوا الله وأجملوا في الطلب. فإن نفسًا لن تموت حتى تستوفي رزقها، وإن أبطأ عنها. فاتقوا الله وأجملوا في الطلب. خذوا ما حلَّ، ودعوا ما حَرُمَ**»[2]، أي؛ اسعوا برفق في طلب رزقكم فإن أحدكم لن يموت حتى يستوفي كامل رزقه الذي قسمه الله عزَّ وجلَّ له، قال الله تعالى: ﴿نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾[3]، وهذا الرزق وإن أبطأ عنه في بعض الأحيان -لحكمة يعلمها الله- فهو لا بد يأتيه.

---

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٦٢.

(٢) صحيح سنن ابن ماجه، رقم: ١٧٤٣.

(٣) سورة الزخرف، الآية: ٣٢.

ولأن الرزق هو أكثر ما يشغل وقت الإنسان ويلهيه حتى عن عبادة الله تعالى وعن الصلاة أخبر الله عزَّ وجلَّ العباد أنه خلقهم ليعبدوه وحده لا شريك له ولا يريد منهم رزقًا ولا يريد أن يطعمون؛ سواء أن يرزقوا أنفسهم ويطعموها أو يرزقوا غيرهم ويطعموهم؛ لأنه هو سبحانه الرزاق والمعطي؛ قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴿٥٨﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَّحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[2]، أي؛ اصبر على إقامة الصلاة وأْمُر أهلك بها ولا نكلفك أن ترزق أحدًا من خلقنا ولا أن ترزق نفسك، بل إذا أقمت الصلاة أتاك الرزق من حيث لا تحتسب.

الإنسان والمال:

إذا كان الله جلَّ جلاله قد خلق الأقوات في الأرض قبل أن يخلق الإنسان، وإذا كان تعالى سيرث الأرض بما عليها بعد أن يفنى كل ما عليها من إنسان أو حيوان، وإذا كان الإنسان يولد وليس له مال، ثم يرزقه الله عزَّ وجلَّ المال، ثم يموت الإنسان ولا يأخذ معه شيئًا من هذا المال كما أخبر النبي ﷺ: «**يتبع الميت ثلاثة: فيرجع اثنان**

(١) سورة الذاريات، الآيات: ٥٦-٥٨.

(٢) سورة طه، الآية: ١٣٢.

ويبقى معه واحد، يتبعه أهله وماله وعمله، فيرجع أهله وماله، ويبقى عمله»[1]؛ فإذًا ما هو الدور الحقيقي للإنسان مع المال، ومن هو المالك الحقيقي للمال؟

لقد تبين مما تقدم أن الرازق الحقيقي هو الله عزَّ وجلَّ، وبالتالي فهو تعالى المالك الحقيقي للمال يتصرف فيه كما يشاء، فيرزق منه كثرة وقلة من يشاء من عباده، وقد تكرر في القرآن قول الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُۚ﴾[2]، أي؛ هو تعالى الذي يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق على من يشاء ويغني من يشاء ويفقر من يشاء، وله الحكمة البالغة في ذلك.

فالله تبارك وتعالى هو المالك للرزق المتصرف فيه بما يشاء، وإن أمسك رزقه عن أحد من الناس فلا أحد يمكن أن يرزقه؛ قال جلَّ جلاله: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥۚ بَل لَّجُّواْ فِى عُتُوّٖ وَنُفُورٍ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ﴾[4]، فمن يقل إن هناك من يرزق غير الله عزَّ وجلَّ فليأت ببرهان على ذلك إن كان صادقًا، قال تعالى:

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: سكرات الموت.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٥٢.

(٣) سورة الملك، الآية: ٢١.

(٤) سورة فاطر، الآية: ٣.

﴿أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

فما دام الرزق رزق الله والمال مال الله كما قال تعالى: ﴿وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ۚ﴾[2]، فما هو الدور الحقيقي للإنسان مع المال؟

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾[4]، فقد استخلف الله عزَّ وجلَّ الإنسان في الأرض ومما استخلفه فيه أيضًا المال، قال الله تعالى: ﴿ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ﴾[5]؛ فأصل المال لله سبحانه، بل الكرة الأرضية بأكملها ملك لله عزَّ وجلَّ؛ وهي لم تكن قبل خلق الإنسان ملك أحد من الناس، ولن تكون بعد فناء الناس جميعًا ملك أحد منهم، وهي كذلك الآن، وإنما يستخلف الله من يشاء من خلقه في أي بقعة من أرضه إلى أجل مسمى في قدره، ثم يستخلف من بعدهم قومًا آخرين، وهكذا دواليك إلى يوم القيامة.

---

(١) سورة النمل، الآية: ٦٤.

(٢) سورة النور، الآية: ٣٣.

(٣) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٤) سورة النور، الآية: ٥٥.

(٥) سورة الحديد، الآية: ٧.

والأمر نفسه بالنسبة للمال فهو لله تعالى وليس للإنسان في الحقيقة، وإنما هو فيه بمنـــزلة النائب والوكيل، وليس له فيه إلا التصرف الذي يرضي الله عزَّ وجلَّ، وقد أمر تعالى عباده بالإنفاق مما استخلفهم فيه من المال، وجعله معهم على سبيل العارية، فإن كان في أيدي مَن قبلهم فقد صار إليهم واستخلفهم فيه بعدما استخلفه مَن قبلهم، وسيستخلفه الله مَن بعدهم بعد موتهم، فأرشد تعالى إلى اغتنام الفرصة قبل أن يزال عنهم إلى مَن بعدهم وذلك بالإنفاق في سبيل الله تعالى واستعمال ما استخلفهم فيه من المال في طاعته وعلى الوجه الذي يرضيه، قال رسول الله ﷺ: «**إن الله عزَّ وجلَّ قال: إنَّا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة**»[1]؛ فإن فعلوا ذلك كان لهم الثواب الجزيل والأجر الكبير، وإلا حاسبهم الله تعالى على المال وعاقبهم لتركهم الواجبات فيه.

وفي الآية السابقة إشارة إلى أن مالهم سيكون مخلفًا عنهم، فلعل ورثتهم يطيعون الله فيه فيكونون أسعد منهم بما رزقهم الله من أموالهم، أو يعصون الله فيكونوا قد سعوا في معاونة ورثتهم على الإثم والعدوان، وقد قال رسول الله ﷺ: «**أيُّكم مال وارثه أحب إليه من ماله**»؟ قالوا: يا رسول الله، ما منا أحد إلا ماله أحب إليه، قال: «**فإن ماله ما قدم، ومال وارثه ما أخر**»[2]، أي؛ أن الذي يتركه الإنسان من المال بعد موته ـــ وإن كان في حياته منسوبًا إليه ـــ فإنه باعتبار انتقاله إلى وارثه يكون منسوبًا للوارث، فما قدمه من المال هو الذي يضاف إليه

(١) مسند أحمد، رقم: ٢١٨٠٣، وقال حمزة أحمد الزين: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب: ما قدَّم من ماله فهو له.

في الحياة وبعد الموت بخلاف المال الذي يخلفه، ولهذا قال ﷺ: «**يقول العبد: مالي مالي. إنما له من ماله ثلاث: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى، أو أعطى فاقتنى، وما سوى ذلك فهو ذاهب وتاركه للناس**»[1]؛ فماله ما أكل أو لبس أو تصدق وما بقي من المال سوى هذه الثلاث فليس ماله، وإنما هو مال الورثة يستخلفهم الله فيه بعدما كان مستخلَفًا هو فيه.

ومن حكمة الله في خلقه أن يوجد فقراء، وأن يوجد أغنياء قد وسَّع الله عليهم المال وفضلهم على غيرهم من الناس، قال تعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾[2]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلرِّزْقِ﴾[3]؛ وذلك ليختبر إيمان الأغنياء وطاعتهم بتنفيذ أوامره في الإنفاق من مال الله الذي آتاهم على من ذكرهم الله تعالى لهم من المحتاجين؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣٧﴾ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴿٣٩﴾﴾[4]؛ فالذي

(١) أخرجه مسلم في كتاب الزهد.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٢١.

(٣) سورة النحل، الآية: ٧١.

(٤) سورة الروم، الآيات: ٣٧-٣٩.

يعطي المال للمحتاجين من أقاربه وللمساكين وللمسافرين المنقطعين يريد بذلك وجه الله فله ثواب ذلك وهو المفلح، أما من أعطى المال يريد بذلك أن يحصل به من الناس على أكثر مما أعطى فهذا لا ثواب له عند الله، وبيَّن تعالى أن الثواب والجزاء المضاعف يكون في الزكاة لوجه الله.